عرفات في ذكرى رحيله
له ما لنا وعليه ما علينا

فيصل حوراني *

لم يُخلّف ياسر عرفات آثاراً مكتوبة يمكن الركون إليها للتعرف على دخائل شخصيته، لم يترك مؤلفات تظهر ما يفكر فيه أو ما يرفضه وما يقبله من أفكار الآخرين. ولم نحصل على يوميات أو مذكرات كتبها هو أو أملاها. المكتـوبُ مما نُسـب إلى عرفات أو حمل توقيعـه ضمّته أحاديث صحافية متفرقـة، غالباً ما كانت تتم على عجل ولا يراجعها هو قبل نشرها؛ ورسائلُ سياسية وبياناتٌ صيغت لتعبر عن رأي الهيئات التي يقودها هو؛ وخطبٌ قليلة لها طبيعة هذه الرسائل والبيانات ووظيفتُها؛ وخطبٌ كثيرة قيلت شفاهة، في مناسبة أو أخرى، دون أن يتعدى مضمونها التعبير عن موقف راهن أو إثارة حماس سـامعيها. وهذا كلّه، مثله مثل مسـاهمة ياسر عرفات في بلورة مواثيق وبرامج سياسية عامة، قد يفيد في كشف بعض جوانب شخصية الزعيم، المركّبة والغنية في واقع الأمر، إلا أنه لا يجلو هذه الشخصية بتمامها ولا ينفع من يشاء التعمق في مكنوناتها.

أما الحكي الشـفاهي الذي كان يفيض من لسـان عرفات في مجالسـه اليوميّة وفي اللقاءات الرسـمية وشبه الرسـمية، فالوقوع عليه ليس في المتناول، ولا يبدو أنه سـيصير كذلك. فأرشيف الحركة الوطنية الفلسطينية يفتقـر إلى المحاضر الكاملة المعتمدة لأحاديث أي لقاءات. وما جرى تسـجيله أو كتابته من محاضر كاملة، كما هو شـأن محاضر اجتماعات المجلس الوطني التي انعقدت في القاهرة، فُقِدَ أو اختفى وربما تلف. وإذا كان بعض ما فاض من لسان عرفات شفاهة قد نُقل وتُدوول، فإن المجتزءات المنقولة غالبا بروايات متعددة لا يُعتد بها. ولعدم الاعتداد بها،هذا، أسبابٌ كثيرة أكثر حضوراً في كل بال من أن نحتاج إلى تعدادها.

---

* كاتب فلسطيني

يبقى في اليد، من أجل دراسة شخصية عرفات، تتبُّع وقائع سيرته وأفعاله، ومضاهاتُها بما يمكن الركون إليه من حكيه، واستخلاص ما يمكن استخلاصه من هذا كلّه. ويبقى في اليد، كذلك، هذه الشهادات الكثيرة التي نشرها عن الرجل ناسٌ كثيرون، على أن تخضع الشهادات جميعها للتدقيق المتبصّر في الدوافع التي أملتها، الدوافع التي يعلم كل من قد يعنيه الأمر كم هي معقدة حين تتناول زعيماً تعددت بشأنه وجهات النظر وتدخَّل الهوى الشخصي في الحكم عليه.

هذا الحديث، إذ يأتي في الذكرى الثامنة لرحيل عرفات عن دنيانا، لا يتوخى تحليل شخصيته أو جلاء جوانبها جميعها، بل يتوخى وضع اليد، المساهمة في وضع اليد، على ما قد ينفع في الإجابة على سؤال طالما شغل كثيرين: كيف أمكن أن يحتفظ ياسر عرفات طيلة حياته بشعبيته ومكانته الراسختين حتى عند من خالفوه في هذا أو ذاك من الشؤون؛ وكيف ظل يتمتع طيلة أربعة عقود متصلة بتأييد غالبية الشعب الفلسطيني لما يفعله، وبمسامحتها إيّاه كلما وقع في خطأ؟

استخلاص الإجابة على هذا السؤال يمكن أن يتم من خلال استقراء سلوك الرجل، كما أشير إليه أعلاه، مع مضاهاته بالموثوق مما نُقل عن لسانه أو قيل عنه، هذا الاستخلاص سيغلب عليه، هنا، طابع الشهادة. وذلك بحكم الصلة التي تحققت لكاتب هذه السطور مع ياسر عرفات منذ ما قبل تمتعه بالشهرة، والصلة التي ربطت الكاتب بعدد كبير ممن أحاطوا بعرفات، بالقادة من هؤلاء وغير القادة، بالفلسطينيين منهم وغير الفلسطينيين، بمن محضوا الرجل وداً صافياً، وبمن مالأوه أو نافقوه، وبمن أضمروا تجاهه شتى المشاعر السلبية.

* * *

ولد ياسر عرفات في العام ١٩٢٩، فكان، إذاً، في عز شبابه حين وقعت نكبة ١٩٤٨. وبعد النكبة، عاش عرفات سبعاً وخمسين سنة. هذا يعني أن الرجل ولد ونشأ وترعرع وعاش حياته بطولها وعرضها على امتداد العقود التي احتدم فيها الصراع العربي- الصهيوني واتسع وتعمق، فتأثر بهذا الصراع منذ ولادته حتى رحيله. وقد أتيح لعرفات في مرحلة ما قبل النكبة أن يسهم بنفسه في كفاح الشعب الفلسطيني ضد العمل الجاري لاغتصاب وطنه، فشهد، شهادة عين، كيف قاوم هذا الشعب ومناصروه إلى أن أعيتهم المقاومة، وكيف انهار الكيان الوطني الفلسطيني. كما أتيح لعرفات أن يسهم في إعادة بناء الكيان الوطني الفلسطيني مرة أخرى وأن يقوم بدوره في هذا المجال، مناضلاً في القاعدة، ثم زعيماً طلابياً، ثم بانياً للعمل الفدائي الفلسطيني، ثم قائداً أعلى لهذا العمل وزعيماً غير منازع للعمل الوطني الفلسطيني بأسره.

كان عرفات منذ أول أمره واسع الطموح، جمّ النشاط، شديد الولع بالعمل العام، واسع الحضور وقوّيه حيث حلّ، وتمتع عرفات، منذ أوّل أمره، أيضاً، بمقدرة ندر أن توفّرت لسواه على المثابرة في العمل ووصلِ جهده على امتداد الليل والنهار. وكان حريصاً على أن يظل الأولَ في كل صف ينتمي إليه. كان الرجل قائداً مطبوعاً

على ممارسة القيادة. وقد تميز هو بين مجايليه من القادة الفلسطينيين بالمبادرة إلى تعزيز مكانته القيادية بشتى الوسائل المتاحة والمبتكرة، كما تميز بانهماكه في العمل الميداني أيا ما كانت عليه طبيعة هذا العمل، وبالدأب على التواجد في ميادين هذا العمل بمستوياته كلها، مع المقاتلين العاديين في قواعدهم النائية كما القريبة، ومع قادة العمل المسلح في هيئاتهم، مع مناضلي التنظيمات الشعبية والاتحادات المهنية، مع العمال وأرباب العمل، مع الناشطين السياسيين كما مع أكبر قادة السياسة. ولم يبدل عرفات سلوكه المميز هذا حتى بعد أن شغل مواقع القمة الفلسطينية المتعددة واتسعت مسؤولياته ومشاغله. وفي صلاته بالجميع، حرص القائد المتمرس على إظهار الاهتمام ليس بالشأن العام وحده، بل بالشأن الشخصي لكل من يتصل به، وليس بالمسائل الكبيرة وحدها، بل بأدق التفاصيل.

بكلمات أخرى: عرفات قائد مخضرم خبر ما خبره شعبه كلّه، وراكم ما خبره وبنى عليه؛ لم يهتم بالثقافة النظرية بمقدار ما اهتم بالثقافة العملية التي تنشئها الخبرة والممارسة الشخصيتان. ولئن وقع خلاف حول مسقط رأس ياسر عرفات، وهل كان القدس أو القاهرة، فالمؤكد عليه أنه نشأ في الشتات وعاش فيه معظم سنيّ حياته. فكان عرفات، بهذا، لاجئاً قبل أن تُدفع جموع شعبه إلى اللجوء. مع ذلك، تسنى للطفل الذي كانه عرفات أن يجيء إلى الوطن، إلى القدس مسقط رأس أمّه، وإلى خان يونس بلدة أبيه. ثم تسنى للشاب الذي صاره في العام ١٩٤٨ أن يجيء إلى الوطن مقاتلاً، هذه المرة، في عداد القوّة الشعبية المصرية التي قادها المصري أحمد عبد العزيز لمقاومة الاغتصاب الصهيوني لوطن الشعب الفلسطيني. ووصل عرفات مع هذه القوة حتى مدينة الخليل. ومن هناك، نظم عرفات صلة بجيش الجهاد المقدس الذي قاده الفلسطيني عبد القادر الحسيني، وانتقل إلى القدس بوصفه خبير متفجرات. وبقي عرفات في فلسطين إلى أن اكتملت النكبة بقيام إسرائيل وتغلُّبِ جيشها على جيوش العرب، وبحجب فرصة الشعب الفلسطيني للظفر بدولته الخاصة به.

في القاهرة، التي عاد إليها عرفات بعد أن شهد النكبة وأمكن أن يستخلص ما يمكن لشاب في سنّه أن يستخلصه من عبرها، أسس هذا العائد مهزوماً من القتال رابطة للطلاب الفلسطينيين، وتولى رئاستها، واجتذب إلى عضويتها الطلاب الفلسطينيين بأطيافهم المتعددة. وكانت هذه أول رابطة من نوعها، في ما بدا كأنه بشارة بما سوف يأتي: انطلاق العمل الواسع لإعادة بناء مؤسسات الكيان الوطني الفلسطيني المتجدد. وفي الرابطة التي تجاور فيها وتحاور العلمانيون والمتدينون، البعثيون والشيوعيون والقوميون العرب والإخوان المسلمون، ظل ياسر عرفات إلى أن تخرج من الجامعة هو الشخص الأول وأنشط الاشخاص جميعاً وأقدرهم على حشد الأعضاء وتنظيم النشاطات المهنية والوطنية.

هكذا، خبر ياسر عرفات في وقت مبكر العمل المسلح في ميادين القتال، والعمل الشعبي التنظيمي، ونمّى وطوّر خبراته السياسية. وعرف عرفات معظم قادة العمل الوطني الفلسطيني الذين تولوا المسؤوليات قبل النكبة وحاولوا

بعدها أن يُنقذوا ما يمكن إنقاذه. وتعرف خلال نشاطاته عبر الرابطة وغيرها على أعداد كبيرة من الذين سيقودون العمل العام في المستقبل، من الإخواني الإسلامي الشيخ أحمد ياسين إلى الشيوعي الأممي الفلسطيني بشير البرغوثي ورفيقه الشيوعي الأردني منير الحمارنة، إلى البعثي عبد المحسن أبو ميزر، إلى آخره. وفي الحالات كلّها، وحتى منذ كان طالباً، تدرب عرفات أوسع تدريب، وتهيأت له الفرص المواتية لشحذ مواهبه التي عزّزت تميزه.

ومن رابطة الطلاب إلى رابطة الخريجين، ومن الجامعة وطلابها وخريجيها إلى سوق العمل في الكويت، حيث واصل عرفات ما بدأه وما استحوذ على اهتمامه: تطوير ما يلزم لنهوض العمل العام الفلسطيني، والمضيّ في بناء الحركة الوطنية الفلسطينية المتجددة، وإعادة بناء الكيان الوطني الفلسطيني.

منجز عرفات التالي، ولعله كان الأهم حتى منتصف الستينات الفائتة، تجسد في مساهمته، ليس فقط في تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» وذراعها العسكري قوات العاصفة، بل في جعل «فتح» هذه فصيل من لا فصيل له من الفلسطينيين، دون وضع قيود من أي نوع فكري على أي راغب في الالتحاق بهذا الفصيل. وهكذا، في تأسيس «فتح»، زامل عرفات نشطاء فلسطينيين أفذاذاً، جاء بعضهم من صفوف الإخوان المسلمين، مثل صلاح خلف وخليل الوزير ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان، وجاء آخرون من صفوف حزب التحرير الإسلامي، مثل خالد الحسن، وجاء غيرهم من حزب البعث، مثل خالد اليشرطي وفاروق القدومي، وكان منهم مستقلون. هذا التكوين الذي جعل «فتح» أقرب ما يكون إلى جبهة وطنية هدفها تحرير ما اغتصبه الصهيونيون، عزّزته المبادرة التي برز عرفات في مقدمة الدافعين إليها. وهي المبادرة التي تجسدت في مطلع العام ١٩٦٥، سبعة شهور بعد الإعلان عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، في بدء «فتح» ممارسة الكفاح المسلح وإطلاقها ما اشتهر باسم الرصاصة الأولى. وبين المبادرات التي اقترنت بالتهيئة لممارسة الكفاح الفلسطيني المسلح في العام ١٩٦٥ والتي كان لياسر عرفات دور حاسم التاثير فيها، كانت تلك المساعي التي مكّنت «فتح» من إقناع الحكام البعثيين في سورية بإفساح المجال للعمل الفلسطيني المسلح الذي تباشره «فتح» كيّ ينطلق من أرض بلدهم هذه. ومن يعرف خارطة العلاقات السياسية العربية وموقع حكم البعث آنذاك فيها يعلم ما الذي يعنيه نجاح عرفات وإخوانه في تأمين قاعدة انطلاق لحركتهم التي كان لبنان والأردن ومصر يعترضون على وجودها.

بنجاح هذه المبادرات، ومع التمدد سراً في كل مكان اعترضت سلطاته على وجود تنظيم للحركة الجديدة، صارت «فتح» هي المنافسةَ الأوفر حظاً لقيادة منظمة التحرير. وفي المنعطف الذي أحدثته حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، توفرت الفرص لتبديل قيادة المنظمة الفلسطينية وحلول حملة البنادق، خصوصا «فتح»، محلها. هنا، وسط معارضة شديدة داخل «فتح»، حفز عرفات جهود المتّفقين في الرأي معه لتحقيق منجزين كبيرين: تقدم «فتح» لتولي مسؤولية قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الأم؛ وإصرار «فتح» في الوقت ذاته على أن لا تنفرد بهذه

المسـؤولية وحدها، بل على أن تقود تحالفاً يضم حملة البنادق جميعهم، متدينيهم، وقومييهم وكذلك، خصوصاً ذلك، المستقلين الكثيرين منهم. وعرفات هو الذي أفسح للشيوعيين مجال المشاركة اللاحقة في هذا التحالف.

وقبل ان تشغل «فتح» مركز القيادة الأول في الساحة الفلسطينية، كان عرفات قد استخدم براعاته وخبراته التنظيميـة كلها فوفّر لنفسـه مكانـة متميزة داخل قيادة «فتح». تمّ هذا حـين حصل القائد الطموح على موافقة أعضاء هذه القيادة الآخرين على أن يصير هو الناطق الرسمي باسم الحركة القائدة، وذلك في العام ١٩٦٨. وكان طبيعيـاً، بهذا كما بسـواه، أن يحتاز ياسر عرفات على منصـب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحريـر، ثم على منصب القائد العام لقوات الثورة الفلسـطينية جميعهـا. وقد حظي بالمنصبين كليهما في العام ١٩٦٩، بموافقة الفصائل الأخرى، وليس «فتح» وحدها، واحتفظ بهذين المنصبين، دون أن يُنازعه منازع ذو فرصة، منذ ذلك العام حتى رحيله.

وحين رحل عرفات في العام ٢٠٠٤، كانت مياه كثيرة قد جرت تحت جسـور الكرة الأرضية جميعها، وكانت أنظمة حكم قد بادت وأنظمة حكم أخرى قد نشأت، وكان قادة كثيرون قد تنحّوا وحل آخرون محلهم، فيما بقي عرفات صامداً إزاء المحاولات المتتالية للمس بمكانته، ولم ينحّه إلا الموت ذاته.

* * *

إذا استثنينا الشعبية التي كانت للحاج أمين الحسيني قبل النكبة، فمؤكد أنه ما من زعيم فلسطيني آخر قد حظي قبل هذا أو بعده بما يسـاوي أو يداني الشـعبية التي حظي بها ياسر عرفات كلّ الوقت. وإذا استثنينا الاهتمام المحلي والإقليمي والعالمي الذي حظي به الزعيم جمال عبد الناصر، فالمؤكد أنه ما من زعيم عربي آخر حظي بما يساوي أو يداني الاهتمام الذي حظي به ياسر عرفات على هذه الصعد جميعها.

تعيدنا هاتان الحقيقتان إلى السؤال الذي طُرح في مقدمة هذا الحديث. كيف تأتّى لإنسان من شعب مغلوب على أمره أن يشـق طريقه من قاعدة العمل العام إلى قمته، دون أن يسـنده سـند عائلي، أو ثروة موروثة، أو حزب راسخ القدم، ودون أن يفلح الذين خاصموه ممن تسندهم أسانيد كثيرة في زعزعة مكانته، وكيف تسـنى لهـذا الرجل أن يحتفظ بمكانته وسـط كل الزعازع العاتية التي واجهها هـو ومن ناصروه من أبناء شعبه، وأن تظل هذه المكانة هي هي حتى حين كان هو يقع، ويوقع مناصريه، في الأخطاء؟

هذا السـؤال انشـغل كثيرون في البحث عن إجابة عليه، وتنوعت الإجابات، فلامس بعضها الصواب، ووقع بعضهـا في الخطـأ. كاتب هذه السـطور واحدٌ من مئات الكتاب، وربما ألوفهم، الذين انشـغلوا في دراسـة شخصية عرفات وتقصوا، بين ما تقصوه، الإجابة على السؤال الكبير.

لقد تسنى لي أن أتعرف على ياسر عرفات قبل أن يصير الزعيم ذا الشهرة التي قد تبهر المتصل به، كما تسنى

لي أن أتابع صلتي به بعد أن صار ذلك الزعيم. وبهذا وذلك، أمكن أن أشهد تطور هذا الرجل وأوجه سلوكه في الأحوال كلها، في أوقات التأزم كما في أوقات الانفراج، في المحافل العامة كما في اللقاءات الخاصة وفي الخلوات، في المستويات كلِّها، في السراء والضراء والتي بين بين، حين كان يصيب وحين كان يخطئ، حين كان يعارك وحين كان يلين، وبهذا، أيضاً، تسنى لي أن أتعمق معرفة شخصية الرجل كما هي في واقع أمرها، وكذلك كما يريد هو لها أن تبدو في ظرف أو غيره. ولئن كتبت بعض ما شهدته، ونشرته، وكتبت غيره ولم أنشره بعد، فما زال في الجعبة كثير مما يمكن قوله، خصوصاً ما يُفيد قوله. ولأن عرفات ختم سيرته وأتم ما فعله مما قد يحسب الآن له أو عليه دون أن يتأثر هو به، فقد صار بالإمكان أن يقال جديد الكلام دون أن يتأثر هذا الكلام بما يتأثر به أيُّ كلام حين يُروى في إبان الفعل الذي أداه صاحبه.

وفي الذكرى الثامنة لرحيله، هو الذي لا يُنسى في أي وقت، أود ان أشير إلى مزيَّتين اثنتين فقط من المزيات التي صاغت أشدّ سمات شخصية عرفات إيجابية، وكان لهما، في ظنّي،تأثير حاسم في صنع هذه الشخصية وترسيخ شعبية الرجل وتعزيز مكانته وإدامتها. يقال هذا، على أن يظل مفهوماً أن الحديث يدور هنا عن الشعبية التي لا تصنعها الديماغوجيا، بل تصنعها الوقائع الصلدة فتقترن باحترام الجمهور لصاحبها.

أول المزيتين لها صلة بواقع نشأة ياسر عرفات في الشتات، هو الذي أمضى جلّ عمره المديد خارج الوطن وخبر حياة اللجوء الذي لا يقطع الصلة بهذا الوطن ولا يوهن انهماك اللاجئ قي قضايا وطنه. ولقد كان عرفات، وهذه هي مزيّته الأولى، أقدر من عرفتُ في حياتي كفاءة في مجال تمثُّل مزاج اللاجئين. ولأن كل فلسطيني هو، بمعنى ما، لاجئ، فإن القدرة على تَمثّلِ مزاج اللاجئين عنت القدرة على تمثُّل مزاج غالبية الفلسطينيين العظمى. والجدير بالتنويه أن عرفات لم يتمثل هذا المزاج من موقع المثقف الشعبوي، ولا من موقع القائد الذي يحرص على الظهور بمظهر ممثل الشعب ويصطنع هذا المظهر اصطناعاً، ولا من موقع المتمتع بنزعة إنسانية تحمله على التعاطف مع ضحايا الظلم. فعرفات تمثل المزاج الشعبي بدافع طبيعي صرف، لأنه، ببساطة، لاجئ هو نفسه وواحد من ضحايا الظلم ومعنيّ بالتحرر من اشكال المعاناة التي يفرضها اللجوء.

معنى هذا ومؤداه أن عرفات الذي أهلته مواهبه وكفاءاته وخبرته وبراعاته المتعددة لتولي قمة المسؤولية في قيادة الحركة الوطنية لشعب فلسطين، ظل، كما كان منذ البداية، واحداً من أبناء هذا الشعب، يحس بما يحسّ به ناس شعبه، ويتطلع إلى ما يتطلعون إليه، ويستشعر أعمق ما تنطوي عليه مشاعرهم مما هو إيجابي أو سلبيّ. والبارز في هذا الشأن ليس تماثل عرفات مع أبناء شعبه في الأحاسيس التي يعترف صاحبها بها، وحدها،بل، كذلك، في تلك الأحاسيس التي يكتمها صاحبها حتى عن نفسه.

يمكن، لتظهير هذه المزيّة، إيراد ألوف الأمثلة حين يتسع المجال، أما هنا، في هذا المجال المحدود، فسأكتفي بالإشارة إلى حرص عرفات الدائم على إعلاء شأن الكرامة الشخصية في مواجهة المهانات التي كابدها اللاجئون،

خصوصــاً مهانات العوز والافتقار طويل الأمد إلى ما يحمي الكرامــة الفردية والكرامة الجمعية. ومن الذي ينسى ما فعله ياسر عرفات، ما بذله من جهد وما أنفقه من مال، ليصون تجمعات الفلسطينيين الفقيرة من مذلّة ممارســة البغاء بدافع الحاجة ومذلة الســكوت عن ممارسته بضغط هذه الحاجة. بل من الذي ينسى حرص عرفات الشــخصي على تبني أي فلســطيني يتعرض لما يمس كرامته، حتى لو كان هذا الفلسطيني من مناوئي «فتح» أو منظمة التحرير أو كان فتحاوياً من مناوئي عرفات ذاته.

المزيّة الثانية هي قدرة عرفات على المبادرة. لا يُشــار هنا إلى المبادرات التي تحظى بتأييد الجمهور الواســع وتتفق مع ما هو ظاهر من مزاج هذا الجمهور. يدور الحديث هنا على المبادرات التي تبدو صادمة للسائد مــن القناعات وغير متطابقة مع المزاج المحيط بالزعيم. ففــي حالة الحاجة إلى مبادرة من هذا النوع، كان عرفات يُعوِّل على معرفته العميقة بأحاسيس الناس والتوجهات التي قد يمنعهم مانع ما من الافصاح عنها، فكان يتخذ المبادرة بنفسه، فلا يلبث أن يستجيب الجمهور، أغلبية الجمهور، فيتبعه. هنا، كان يتجلى مقدار تمثّل عرفات لمزاج الجمهور تمثلاً طبيعيا بريئا من الاصطناع. فحين قرر عرفات الدفع باتجاه القبول بالشرعية الدولية مرجعاً لصياغة مطاليب الشــعب الفلسطيني الوطنية، صدر الرجل في قراره المخالف لظاهر ما كان سائداً، آنذاك، عن مشاركته هو نفسه غالبية الشعب الفلسطيني الإحساس الذي يتفاعل في داخل كل واحد مــن الأغلبيــة بأن الأوان قد حان للكفّ عن تجاهل موازين القــوى والقوانين والقيم ذات التأثير في مصائر الشعوب في عصرنا. فاتبع عرفات إحساسه، واثقاً بأن الجمهور سيفهمه، ولم يتهيب ظاهر الأمور.

وما حدث بعد هذا أظهر كم كانت دقيقةً قراءة عرفات لأحاســيس جمهوره. ألم تنته مبادرة عرفات، هذه التــي شرع في الترويــج لها منذ ما بعد خــروج آخر مجموعات الفدائيين الفلســطينيين من الأردن في العام ١٩٧١، إلى أن يصوت ممثلو الشعب الفلسطيني في المجلس الوطني على مبادرة السلام الفلسطينية بأغلبية فاقــت ثمانــين بالمائة. وهل كان هذا الــذي وافق المجلس عليه في العام ١٩٨٨ شــيئاً أكثر أو أقلّ من إعلان القبول بقرارات المجتمع الدولي مرجعاً لصياغة الحقوق الوطنية الفلسطينية.

وجود هاتين المزيّتين ومعهما،بالطبع، المزيات الأخرى التي لم يوجب السياق التنويه بها، لا ينفي أن الزعيم قــد وقع في أخطاء، وأن بعض هذه الأخطاء كان خطيراً، غير أنه يُظهر بعض الأســباب التي جعلت شــعب فلسطين رحيماً في محاسبته الزعيم على أخطائه وسريعاً في مسامحته إيّاه في كل مرة أخطأ فيها. والآن، بعد أن اكتملــت ســيرة عرفات كلّها برحيله وانتصب للخطأ والصواب ميزان غــير قابل للتعديل، لا يتحامل على الزعيــم الراحل إلا أقلّية من المغرضين والجهلة. أما الأغلبية فرأيها في ابنها وممثلها والقائد الذي لا يُنازع ما زال هو هو، كما كان منذ البداية: عرفات واحد منا له ما لنا جميعاً وعليه ما علينا.